بدر شاكر السياب

بدر شاكر عبد الجبار السياب ، ولد في قرية صغيرة من قرى قضاء أبي الخصيب ، هي قرية (جيكور) ، حيث تقع جنوب العراق في (البصرة) ، أتم دراسته الثانوية وتخرج ، ثم التحق بدار المعلمين العالية في بغداد في قسم اللغة العربية ، ليتحول بعد سنتين إلى قسم اللغة الانكليزية، نشر العديد من القصص القصيرة منها : (شجاعة في يوم قائظ 1958م) و(عبد الماء) وغيرها ، أما كتبه المترجمة التي صدرت له (مولد الحرية) و (الجواد الأدهم) وقصائد مختارة من الشعر العالمي وكتاب ترجمه مع آخرين بعنوان (ثلاثة قرون من الأدب) ولديه مؤلفات شعرية مطبوعة هي :

- **أزهار واساطير**
- **المعبد الغريق**
- **منزل الأقنان**
- **انشودة المطر 1960**
- **شناشيل ابنة الجلبي**
- **إقبال**
- **البواكير**
- **فجر الإسلام**
- **قيثارة الريح 1971**
- **أعاصير**
- **الهدايا**
- **المومس العمياء 1954**
- **أزهار ذابلة 1947**

لقد كانت تلك النتاجات الادبية والابداعية لهذا الشاعر متكونة من عناية فائقة في التقاط تفاصيل الحياة اليومية الشعبية في العراق ليستخدمها استخداما شعريا ، سواء أكانت كلمات أم أشياء ، واحساسه المفرط باليوم العراقي جعله يمتلك موردا لاينضب من الكتل والمنظورات الاولية التي ما ان تدخل القصيدة حتى تصبح جزءاً لايتجزأ من مجالها الشعري ، وهذا عائدا إلى الامور التي أصابت هذا الشاعر ، حيث بعد وفاة ولداته وتركه أبوه ثم أصابته بالمرض الذي أقعده الفراش ، حيث أصيب بالسُّل وتعاون هذا المرض ومرض المدينة من عوزه لينتهوا به إلى اضطراب عصبي في العمود الفقري ، فشلّ الظهر والساقان ، ومنذ ذلك الحين صار طائر الشعر طائر الحديد يتنقل من سرير مستشفى إلى سرير مستشفى آخر في بيروت ولندن وباريس والكويت ، حيث هو لم ير تلك المدن ، لكنه أحس بها ، وكان يطلق صيحات يائسة عبر قصائد ذاتية ، حيث لم يكن أمل في الشفاء والموت يقترب ؛ لذلك نرى صوت الحزن البديع في قصائده الشعرية .

وبذلك يتميز هذا الشاعر، لذا هو ليس شاعرا انما هو مبدع ورائد ، حيث الشاعر هو الذي يقول الشعر ، والشاعر الرائد هو الذي يقول شعراً ذا طابع آخر حيث وإن كانت بدايات قصائده فيها بعض الضعف غير إن ما جاء بعد ذلك يحمل الجودة والإبداع ، لقد وفاه الأجل في عام 1964م في مستشفى الأميري بدولة الكويت بعد معاناة من مرض أرقده الفراش ونقل جثمانه إلى البصرة حيث دفن في مقبرة الحسن البصري بالزبير .

مميزات أو خصائص السياب :

- قادراً على الدمج بين قضايا الانسان عامة والقضية العربية .
- شعره حافل بالشمولية الكونية التي تميز بها الشعر الكبير .
- شعر السياب إضافة إلى كونه شخصياً وقومياً وسياسياً وعراقياً فإنه أيضاً شعر يكاد يكون ديننا وشعر يبدأ بالحياة ويخترق الموت إلى الحياة .

الشمس أجمل في بلادي من سواها , والظلام

حتى الظلام هناك اجمل, فهو يحتضن العراق

واحسرتاه, متى انام

وأحس أن على الوسادة

من ليلك الصيفي طلا فيه عطرك ياعراق

متخافق الاطمار كما انبسط بالسؤال يداً ندية

صفراء من ذلٍ وحمى ذلِ شحاذٍ غريب

بين العيون الاجنبية

بين احتقار وانتهار وازورار ... أو خطية

والموت أهون من خطية

معاني كلمات القصيدة :

معاني المفردات :

-الهجيرة: منتصف النهار عند اشتداد الحر

-مكتدحون: الكدح في العمل: الكسب بمشقة

-التؤباء: التثاؤبز

-الجثام: الكابوس

-اشرأب: مد عنقه لينظر

-يعول: يصيح.

-أولهمّ: اسود وأظلم

-احتازها: جمعها

-الأطار: مفردها (طِمْر) وهي الثياب البالية.

-ازدرار: الميل بالوجه تكبراً

-النشيج: شدة البكاء

-السفائن: مفردها سفينة

-قلوع: مفردها قَلْع: شراع السفينة

-قَلْع: وعاء زاد الراعي

-مُدد: مفردها مَدّة، وهي ا لزمن القليل أو الكثير.

مترب القدمين: دلالة على الفقر

-أشعث: الفقر والمرض

-الشموس الأجنبية : المعاناة في بلاد الغربة

-متخافق الأطمار: الفقر والمرض والمعاناة

-يداً نديّة: يد خجولة من سؤال الناس والطلب منهم

-صفراء من ذل وحمى: ارتبط اللون بالفقر والمرض لإظهار معاناة الشاعر في بلاد الغربة

-العيون الأجنبية: عيون الغرباء ونظراتهم التي يوجهونها للشاعر بالإحتقار والأنتهار والزورار

-خطيّة: كلمة عامية من اللهجة العراقية وتقال لإظهار الشفقة والحزن تجاه شخص ما

-تعصره: قطرات ماء معدنية: تدل على زيف تلك النظرات وكذبها فهي مصطنعة غير حقيقية.

-كواكبة الكبيره: هي التي تدل الشاعر لطريق العودة وتهديه له.

التعليق النقدي :

في البداية ينبغي أن نلاحظ تركيب العنوان (غريب على الخليج) ، فهو أولا يخلو من فعل ويجعلنا أمام صورة ثابتة أو جامدة ، غريب يجلس على ضفة الخليج،ولو تخيلنا صورة فوتوغرافية يظهر فيها رجل بائس يجلس على ضفة الخليج لكانت ستنفعنا كثيرا في تعاطينا مع القصيدة

ولكن من قراءة القصيدة نجدها مثقلة بالألم ومشبعة بالقهر بشكلٍ لن أنصفه مهما كتبت، إذ خطّ بها شوقه لبلده العراق الذي أبعد نفسه عنه خوفًا من السجن وذلك بعد ملاحقته من قبل السلطة .

يبدأ السياب قصيدته بداية سينمائية ، فهناك (لقطة كبيرة) كما يسميها كتاب السيناريو:

الريح تلهث بالهجيرة كالجثام على الأصيل

وعلى القلوع ، تظلّ تطوى ، أو تنشّرُ للرحيل

زحم الخليج بهنّ مكتدحونَ جوّابو بحارِ

من كلأ حافٍ نصف عاري

هذه خلفية كبيرة سترسم عليها تفاصيل اللوحة القصيدة فيما بعد ، منظر الخليج وأشرعة السفن المبحرة فيه ، وهؤلاء البحارة نصف العراة الباحثين عن الرزق بين الموت والغنيمة، والحرّ اللاهب ورياح الصيف.

في السطر الأول يدفع الشاعر بشعور بالبؤس الى أنفسنا من خلال بناء التشبيه الغريب ، الريح بقوتها وغبارها المتطاير في الأفق كأنها جثاما (مرض جلدي) أصاب جلد الأصيل.

ثم تبدأ كاميرا المصور بتقريب اللقطة:

وعلى الرمال على الخليج

جلس الغريب يسرح البصر المحير في الخليج

ويهدّ أعمدة الضياء بما يصعّدُ من نشيج

صورة رجل يجلس على الساحل ويستغرق في البكاء ، وأعمدة الضياء القادمة من الشمس ، أو الأمل في شيء ما ، تتحطم (تنكسر) وهي تتخلل دموعه في طريقها الى عينيه.

عند هذه النقطة يكون الشاعر قد أكمل رسم الخلفية، والسؤال الذي يمكن أن يسأل هنا، من المتحدث في هذه الأسطر ، من هذا الذي ينقل صورة الغريب بهذه اللغة الوجدانية الإنفعالية؟ والجواب انه الشاعر (المخرج) الذي وجه كامرته لتنطلق من اللقطة الكبيرة حتى تلقط صورة

الغريب الذي سيستلم زمام الحديث بعد الآن، بالضبط مثل بداية فيلم سينمائي يلتقط شخصية من بين الزحام ثم يتركها تحكي حكايتها مباشرة.

صحيح ان هذه هي البداية الفيزياوية للقصيدة ، لكنها في الحقيقة ليست البداية الشعورية لها فهي لا تعدو كونها فرشة شعورية تحاول بناء سطح عاطفي سنتلقى القصيدة عليه ، فبعد هذه المقدمة يفتح الشاعر علامة اقتباس هي - في حقيقة الأمر - البداية الحقيقية للقصيدة:

"أعلى من العبّاب يهدر رغوهُ ومن الضجيج

صوتٌ تفجّر في قرارةِ نفسي الثكلى: عراق،

كالمد يصعد كالسحابةِ كالدموع الى العيون

الريح تصرخُ بي :عراق

والموج يعولُ بي : عراق عراق ليس سوى عراق

البحرُ أوسع ما يكون وأنت أبعد ما تكون

والبحرُ دونك يا عراق

بالأمس حين مررت بالمقهى سمعتك يا عراق

وكنت دورة أسطوانة

هي دورة الأفلاك من عمري تكورُ لي زمانه

في لحظتين من الزمان ، وان تكن فقدت مكانه

هذه الأسطر وكل ما سيأتي بعدها هو نقل مباشر للحوار الداخلي في نفس الغريب الذي يتسم بخصائص لغوية لابد من ملاحظتها لفهم القصيدة، فمن الملاحظ أولا اصرار الشاعر على أن تكون الجملة الإسمية هي الجملة الأساس في لغة الغريب ، والأفعال دائما تأتي في حشو الجمل لا بداياتها ، وهذا منسجم مع الفكرة التي بنيت القصيدة عليها ، فكل الحركة التي ستوصف في كلام الغريب ليست حركة حقيقية تحدث الآن ، انها حركة داخل السكون ، ليس لها وجود الا في مخيلة الغريب وذاكرته.

والسمة الثانية هي تكرار كلمة عراق في هذه الأسطر التي ستدخلنا فيما بعد الى سلسلة طويلة من تداعيات الذاكرة ، (عراق) تكررت سبع مرات بإلحاح واضح ، ونحن نرى ان لهذا التكرار مدلول سحري ، ويشجعنا على هذا الرأي الرقم سبعة الذي يرتبط بالسحر في

الموروث الإنساني ، فالغريب يحاول (استحضار روح) العراق من خلال التكرار السباعي الشائع في الرياضات الروحانية.

ومن الملاحظ أيضا استخدام الغريب كلمة (عراق) مجردة من (الـ) التعريف، عراق وليس العراق، طبعا لأن العراق في نفس الغريب لم يعد بحاجة الى التعريف فقد أصبح قيمة مطلقة موغلة التعريف مستغنية عما يعرفها.

ثم يقول :

هي وجهُ أمي في الظلام

وصوتها يتزلقان مع الرؤى حتى أنام

وهي النخيل أخاف منه اذا ادلهم مع الغروب

فاكتظ بالأشباح تخطف كل طفل لا يؤوب

من الدروب

وهي المفلّيةُ العجوز وما توشوشُ عن حزام

وكيف شقّ القبرَ عنهُ أمام عفراء الجميلة .....

هذه هي الصور الثلاث الأولى من دفق صور طفولة الغريب (الأم ، النخيل، الجدة المفلّية) ، حيث نلاحظ أنها لا ترتبط بالسببية ، بل ان ما يربط بينها فقط تداعيها بوصفها ذكريات طفولة ، انها مستقلة عن بعضها حتى في شكلها اللغوي فليس هنا سطر واحد تشترك فيه صورتان، هذه الصور وكل ما سيأتي بعدها ليست الا الأخاديد الدائرية المحفورة على ظهر اسطوانة الكراموفون ، التي ذكرها الغريب في البداية ، انها تبدو دوائر متحدة المركز مستقلة عن بعضها ، لكنها في الحقيقة ليست الا خطا واحدا مرسوم بشكل حلزوني ليتيح لأبرة الكراموفون السير بداخله من الخارج الى الداخل حتى الوصول الى المركز. والمركز في غريب على الخليج هو هذه النقطة التي يجلس فيها الغريب متحسرا على العراق متمنيا العودة اليه ، وهكذا يعود الغريب في النهاية بعد سلسلة طويلة من صور الذاكرة الى نقطة المركز:

لتبكين على العراق

فما لديك سوى الدموع

وسوى انتظارك دون جدوى للرياح وللقلوع

ولا يمكن للقارئ أن لا يلاحظ استخدام كلمات (الرياح ، القلوع) في السطر الأخير وهما الكلمتان اللتان بدأت بهما القصيدة.